ابن سينا (١)

ليس بين ما نظمهُ الاقدمون قصيدة أدنى الى معتقدي وأقرب الى ميولي النفسية من قصيدة ابن سينا في النفس

في هذه القصيدة النبيلة قد وضع الشيخ الرئيس أبعد ما يراودُ فكرة الانسان، وأعمق ما يلازمُ خياله من الاماني التي تولدها المعرفة ، والسؤالات التي يثيرها الرجاء ، والنظريات التي لا تصدر الاَّ عن التفكر المستمر والتأملات الطويلة

وليس من الغرائب صدور هذه القصيدة عن وجدان ابن سينا وهو نابغة زمانه ، ولكن من الغرائب ان تكون مظهراً لرجل صرف عمره مستقصياً أسرار الاجسام ومزايا الهيولى . فكأني به قد بلغ خفايا الروح عن طريق المادة وأدرك مكنونات المعقولات بواسطة المرئيات فجاءت قصيدته هذه برهاناً نيراً على ان العلم هو حياة العقل يتدرج بصاحبه من الاختبارات الحسية — الى النظريات العقلية — الى الشعور الروحي — الى الله

قد يجد المطالع في ما نظمهُ كبار شعراء الفرنجيين مقاطع متفرقة تذكره بهذه القصيدة السامية . ففي روايات شكسبير الخالدة أبيات لا تختلف بمعانيها عن قول ابن سينا

وصلت على كره اليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجُّع

وفي اقوال شلي ما يماثل

سجنت وقد كشف الغطاء فأبصرت ما ليس يدرك بالعيون المجمَّع

وفي تأملات غوتي ما يضارع

وتعود عالمة بكل خفية في العالمين فخرقها لم يرقع

وفي ما قاله برواتغ ما يضاهي

فكأنها برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع

ولكن الشيخ الرئيس قد تقدَّم جميع هؤلاء بقرون عديدة . توضح في قصيدته واحدة ما هبط بصور متفرقة على أفكار مختلفة في أزمنة مختلفة . وهذا ما يجعلهُ نابغة عصره وعصور التي جاءت بعده ، ويجعل قصيدته في النفس أبعد وأشرف ما نظم في أشرف وأبدع موضوع

---

(١) نشر هذه القطعة من آثار جبران خليل جبران بمناسبة نشرنا الفصل الاخير من البحث المسهب في سيرة ابن سينا ومؤلفاته